المشرق

مدينة السامرة وحفريّاتها الحديثة

نظر تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي

من اجلّ الآثار التي خرجت الى عالم النور بعد احتجابها مدّة الاجيال المتوالية في قلب الارض عاديات مدينة السامرة التي استخرجتها حديثاً بالحفر بعثة اميركيّة فانبعثت من قبرها ناهضةً الكنز الكثيف الطيّات الذي كانت سجّتها به الدُول منذ عهد الاشوريّين الى الفتح العربي فظهرت للعيان بقاياها اليهوديّة ثمّ اليونانيّة ثمّ الرومانيّة وكان في ظهورها دليل ناطق وشاهد حي على صحّة ما ورد في الاسفار المقدّسة عن اخبار السامرة وتواريخ ملوكها. فحدا بنا الامر الى ان نتحف قرّاءنا الكرام بوصف تلك الاكتشافات. على انّ ذلك يقتضي مقدّمة في تعريف مدينة السامرة وذكر لمعة من تاريخها ليدركوا خطورة هذه الحفريّات وما تحويه بلادنا من الكنوز الاثريّة التي لا تزال راقدة في مدافنها ريثما ترحمها يدٌ كريمة فتعيدها الى الحياة

١ نظر في مدينة السامرة وتاريخها

مدينة السامرة واسماؤها اوّل اسم عُرفت به مدينة السامرة شَمرون (שֹׁמְרוֹן) وقد زعم اوسابيوس في معجمه للاعلام (Onomasticon) انها شِمرون المذكورة في سفر يشوع (١١ : ١ و ١٩ : ١٥) غير انّ هذا الرأي في يومنا مردود والمرجّح انّ شِمرون التي افتتحها يوشع كانت احدى حواضر الجليل وموقعها قريب من عكّا وقد بقي منها آثار تُعرف حتى يومنا بالسامريّة. اما شَمرون

حاضرة السامرة بفتح الشين المعجمة فاوّل ما ورد ذكرها في سفر الملوك الثالث (١٦ : ٢٤) في زمن ملوك اسرائيل . امّا معنى اسمها فقيل المراد به « مكان شمر » وشمر صاحبها . وقيل بل معناها « المرقب » لعلوّها وصلاحيتها للمراقبة والحراسة من فعل (שָׁמַר) بالعبرانيّة اي حرَسَ ونظر وراقب . وقد دعاها في سفر عزرا (٤ : ١٠) شمرين وبقي عليها هذا الاسم الى ايام هيرودس فدعاها باسم يوناني اشتقاقاً من سبستوس وهو اسم اوغسطوس قيصر باليونانية فعُرفت باسم (Σεβαστή) وشاع اسمها على هذا النطوق . وقد عرفها العرب باسميها فدعوها « سامرة » طبقاً للاصل العبراني وسمّوها سَبَسْطية اشارةً الى اسمها اليوناني وبهذا الاسم تُعرف الى يومنا

﴿ موقعها ﴾ موقع مدينة السامرة في اواسط بلاد فلسطين كانت في قسم الناحية المعطاة لسبط افرائيم بن يوسف في شمالي غربي مدينة نابلس او شكيم على مسافة ستّة اميال منها في وادٍ متّسع وبقعة خصبة ذات تلال وربى بينها تلّ شمرين الذي عليه بُنيت المدينة وهي تبعد عن اورشليم ٣٠ ميلاً عن شمالها

﴿ تاريخها ﴾ اخبر مؤلف سفر الملوك الثالث ما وقع من الانقسام بين سبط يهوذا واسباط بني اسرائيل بعد موت سليمان ومُلك رحبعام ابنه فانفصلت الاسباط عن يهوذا واتّخذت يربعام بن ناباط لها ملكاً واقام هذا في شكيم مدّة ثمّ انتقل وخلفاؤه من بعده الى ترصة وسكنوها الى زمن ملكهم السادس عمري فنقل هذا كرسي الملك من ترصة الى السامرة . وكانت السامرة وقتئذٍ هضبة مرتفعة يسهل تحصينها في وجه الاعداء فاشتراها عمري سنة ٨٨١ ق.م من صاحبها شمر بقنطارين من فضّة اي نحو ٢٠,٠٠٠ فرنك من نقودنا فعمّرها وجعلها مدينة حريزة واتّخذها قصبة لمملكته . وعلوّ السامرة فوق سطح البحر ٤٤٣ متراً امّا فوق السهول المجاورة فمئة متر فقط ومنها يكشف النظر غرباً بحر الشام وجنوباً وشرقاً جبال عيبال وافرائيم وقد اطنب الانبياء في عمرانها وخصبها وخور كرومها

وبقيت السامرة حصناً حصيناً لاسباط اسرائيل حتى أُطلق اسمها على كل البلاد التي احتلّتها الاسباط اي كل الناحية الواقعة بين الجليل شمالاً واليهوديّة جنوباً والاردن شرقاً وبحر الشام غرباً . ودام ملك بني اسرائيل على السامرة ١٥٠

سنةً جرت في اثنائها الحروب وكثرت المنازعات بين ملوكها وملوك الشام وملوك يهوذا تارةً لهم وتارةً عليهم

وكان التوثن يزيد فيها نموًّا والشرك انتشارًا لاسيما عبادة البعل الفينيقي التي افسدت اخلاق اهلها وحرّكت غضب الله عليهم الى انْ طفحت كأس شرورهم فتشتت في السامرة نبوّة الانبياء فيهم لمَّا زحفت عليهم جيوش اشور في اواخر عهد سلمناصر واوائل سرجون ففتحتها ولاشت مملكتها وجلت اهلها الى ما بين النهرين

ثمَّ ارسل بعد قليل الملك اصارحدُّون قومًا اخلاطًا من مهاجري بلاد الاشوريين ليسكنوا السامرة فامتزجوا باهلها الباقين فيها ونشروا بينهم ارجاس دياناتهم الباطلة فصار دين السامريين معدودًا عند اليهود كدين فاسد رغمًا عن بقايا من شريعة موسى فكانوا يبتعدون عنهم ابتعادهم عن الحنفاء واهل الشرك

وبقيت مدينة السامرة تحت حكم الاشوريين واخذت شيئاً فشيئاً تجدّد محاسنها وتستردّ منعتها حتى قدم الاسكندر ذو القرنين فكسر شوكتها نهباً وسبياً بعد عصيانها وارسل قومًا من اليونان والسوريين يستعمرونها فاسترطنوها وداتوا للملوك السلوقيين الى السنة ١١٠ ق.م وفيها استولى عليها ملك المكابيين « حنَّا هركان » فقلبها ظهرًا لبطن ودكّها الى اساسها اخذًا بثار محالفيه الذين اساء اهل السامرة الصنع اليهم

على انَّ الرومان عرفوا ما لموقع السامرة من الخواصّ فقام احد ولاتهم غابينيوس ورمّمها ثمَّ تبعهُ هيرودس الكبير واعاد لها رونقها السابق وبنى فيها الابنية الفخمة وطوّقها بسور وزخرفها بالاروقة والاعمدة والهياكل ودعاها باسم سبسطية شكرًا لاوغسطوس قيصر الذي اتحفهُ بها

ومنذ عهد الميلاد يذكر المؤرخون سبسطية كمدينة عامرة. وقد دخلتها النصرانيَّة منذ اوائل الدعوة المسيحيَّة كما يظهر من اعمال الرسل حيث يُذكر تبشير القديس فيلبُّوس فيها وكما يلوح ايضاً من الآثار القديمة وفيها جعل اوسابيوس القيصري والقديس هيرونيموس وتاودوريطس قبر القديس يوحنَّا المعمدان مع انَّ يوسيفوس في كتاب العاديات اليهوديَّة (ك ١٨ ف ٥) يؤكّد انَّ هيرودس انتياس قتل يوحنَّا في ماكيرونتا ولعلَّ ذخائرهُ نُقلت بعد قتله الى سبسطية

وقد روى تاودوريطس في كتاب التاريخ الكنسي (ك ٣ ف ٧) انَّ الوثنيين

على عهد يليانوس الجاحد انتهكوا قبر الصابغ في سبسطية واحرقوا ذخائرهُ . والظاهر انَّ المؤمنين امكنهم ان يخلّصوا منها قسماً فعادوا الى اكرامها وبنوا على ذكر المعمدان كنيسة باسيليقة ذكرها في القرن الخامس القديس هيرونيموس وعاينها السائح انطونينوس المعروف بالشهيد في القرن السادس . وذكر السائح القديس ڤيليبلد (S. Willibald) انهُ شاهد في سبسطية قبر القديس يوحنا السابق وقبري النبيَّين اليشاع وعبديا في القرن الثامن . وقد ورد ذكر اساقفة مدينة السامرة في جملة الآباء الذين حضروا المجامع المسكونيَّة الاولى كنيقية وخلقدونية

اما ما يُعرَف من امر سبسطية منذ التاريخ الاسلامي فزهيد جدًّا لا يفي برغوب فقد افاد البلاذري في كتاب فتح البلدان (ص ١٢٣) انَّ عمرو بن العاص بعد فتح غزَّة في عهد ابي بكر الصدّيق فتح بالامان سبسطية ونابلس وجعل الجزية على رقاب اهلها والخراج على اراضيها . وذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٣٣) سبسطية ولم يزد على قولهِ انَّها " بلدة من نواحي فلسطين وبينها وبين بيت المقدس يومان وانَّ بها قبر زكريَّا ويحيى بن زكريَّا وجماعة من الانبياء والصديقين وهي من اعمال نابلس "

ولمَّا صارت فلسطين في ايدي الصليبيين سعوا في احياء مآثرها الدينيَّة ولاسيما كنيسة القديس يوحنَّا المعمدان التي تُرى اليوم بقاياها وهي جامع البلدة والصليبيُّون على ما يظهر شيَّدوها في القسم الثاني من القرن الثاني عشر وتبعوا في تشييدها رسم الكنيسة القديمة الراقية الى القرن الرابع او الخامس . وطول هذه الكنيسة مع رواقها يبلغ ٤٨ مترًا في عرض ٢٣ م وكان لها ثلثة اسواق وقببها بيضويَّة الشكل على الطرز الصليبي . وفي شمالها اخربة بناء ضخم كان فيهِ مقام اسقف المدينة او فرسان القديس يوحنَّا تُرى على جوانبهِ ابراجهُ حتى الآن

﴿ سبسطية الحاضرة ﴾ لم يبقَ اليوم من عاصمة السامرة غير قرية حقيرة لا يبلغ عدد اهلها الفًا . وهم يسكنون على حدود تلّ سبسطية وبيوتهم مبنيَّة من بقايا اخربة المدينة القديمة وترى في اواسط القرية الاعمدة المحطَّمة وقواعد العواميد المزخرفة واكلَّتها المنقوشة . وفي اعالي التلّة اطلال الهيكل الذي شيَّدهُ هيرودس لاوغسطوس قيصر . ومن عن جنوب التلّ آثار الرواق الشهير لهيرودس ايضاً وكان

يبلغ طولهُ ١٧٠٠ متر في عرض ١٨ متراً تزينهُ المئون من الاعمدة البالغ عاوها خمسة امتار وقطرها نحو متربن وكان بعضها حجراً واحداً وترى حتى اليوم منها نحو مئة عمود بعضها قائمة وبعضها مطمورة في الارض تطو فوقها المزروعات والكروم وكان الرواق ينتهي بمدخل فخيم وعلى طرفيهِ برجان مستديران من الحجارة المنحوتة. فكلّ هذه الاخربة تنطق بلسان حالها وتردّد ما قالهُ فيها ميخا النبي (١ : ٦) : « اني ساجعل السامرة كومة في الحقل ومغارس كروم وأدحرج حجارتها الى الوادي واكشف أُسسها »

وسكّان السامرة اليوم كلّهم مسلمون اما السَّمرة فلم يبقَ منهم حالا سوى ثلاثين او اربعين عائلة يسكنون مدينة نابلس وهناك كنيسهم وفيهِ يحفظون نسخة التوراة السامريّة التي يرقّون عهدها الى القرون السابقة للميلاد والمرجّح انها كُتبت بعد المسيح بمدّة طويلة

٢ حفريات مدينة السامرة

قدرى انَّ سُبات مدينة السامرة كان عميقاً مطبقاً اذ حاول قومٌ من علماء الاميركيين ان يوقظوا الناقة فطلب سفير الولايات المتّحدة منذ اربع سنين امتيازاً من الباب العالي بمباشرة حفريات في تلّ سبسطية فكان جواب السلطان عبد الحميد موافقاً للرغائب. وما لبثت كليّة هارفرد في مقاطعة مساشوستس ان عيّنت جمعة من اساتذتها ومهندسيها في مقدّمتهم المعلّمون جرج رَيسنر (G. A. Reisner) وداڤد غردون لاين (D. G. Lyon) والمهندس كلارنس فيشر (C. S. Fisher) بمساعدة الدكتور غتليب شوماخر (Dr G. Schumacher) المقيم في حيفا . وكان احد المثرين الاميريكيين في نيورك المستر جاكوب شيف (Mr J. H. Schiff) اخذ على نفسهِ كل نفقات الحفريات وابتاع تلّ سبسطية من اصحاب الاملاك بمبلغ ٣٣٦,٧٠٠ فرنك اعني بما يساوي سبع عشرة مرّة ثمنها الذي دفعهُ الملك عمري لشمر صاحبها الاول قبل ٢٨٠٠ سنة

فما انتشر هذا الخبر بين محبّي العاديات التاريخيّة والكتابيّة حتى استبشروا بهِ خيراً واخذوا يترقبون بلّ الامل الاكتشافات المهمّة المنوطة باخبار دول عديدة تناوبت في الحكم على تلك الحاضرة منذ نحو ثلاثين جيلاً ومنهم من كان يطلّ

النفس بالوقوف على آثار كتابات عبرانيَّة او سامريَّة قديمة. بل كانوا يؤملون اكتشاف نسخة عاديَّة من اسفار الكتب المقدَّسة الى غير ذلك مما تتوق اليهِ النفس الراغبة وتعظمهُ المخيلة من تاريخ بني اسرائيل وديانتهم وعمرانهم

وكان افتتاح الاشغال في تلّ السامرة في اواخر شهر نيسان سنة ١٩٠٨ . ووجَّه المهندسون نظرهم الى الربوة التي موقعها في غربيّ تل سبسطية لعلمهم انَّ تلك الناحية التي اتَّخذها هيرودس لابنيتهِ الفخيمة وانَّها لذلك اعظم شأناً من سواها واغنى بالآثار القديمة فكانت دائرتها تبلغ عشرين غلوة. وما عتم الشغل أن قام على ساق الجدّ وتوفَّر عدد العملة حتى بلغ بعد قليل ٤٠٠ فاعل كانوا يحفرون على طريقة نظامية حفرًا واسعة في قلب الارض بلغ عمقها فوق العشرة الامتار ثمَّ عادوا وحفروا خنادق اخرى في امكنة غيرها من التلّ فتتبَّعوا على هذا المنوال طبقات اطلال المدينة دولةً دولةً منذ العهد الاسلامي الاخير الى زمن البوزنطيين. ثمَّ الرومان ثمَّ اليونان الى اقدمها زمناً اعني مملكة بني اسرائيل

على انَّ انعطاف التلّ وتحدُّرهُ كان كثيرًا ما يعوقهم عن تتبُّع الطبقات فكان يحدث من جرّاء الحفر النظامي انخسافات تخلط الطبقات المذكورة ببعضها فاستدراكاً لهذا الخلل فضَّلوا حفر آبار مستطيلة الى اقصى ما يمكن من اساسات المدينة القديمة وابنيتها فاذا بلغوها فتحوا على جوانبها اسراباً واستخرجوا عادياتها ووصفوا اطلالها ثم فتحوا فوقها اسراباً اخرى عند اساس المدينة الثانية التي بُنيت فوق الاولى. وهكذا صعدوا طبقةً طبقةً الى اعالي التل

وداومت البعثة الامريكيَّة على شغلها اربعة اشهر ثمَّ عادت اليه في السنة التالية ١٩٠٩ بعد ان تأخَّرت قليلًا عن موعدها بسبب الانقلاب الدستوري الذي حصل وقتئذٍ لكنَّ اللجنة العاملة استأنفت العمل في غاية أيَّار وواصلتهُ بهمَّةٍ الى اوَّل اسبوع تشرين الثاني دون انقطاع اللهمَّ الَّا الآحاد وأيام عطلة قليلة ثم كرَّرت العمل في السنة ١٩١٠

وكان العلماء ينشرون في مجلَّة كليَّة هارفرد (Harvard Theological Review) نتائج اعمالهم ويرسمون فيها الرسوم الهندسيَّة المتنبئة بطرائق الحفريَّات ويصوِّرون ما يجدونهُ من العاديَّات فيصفونها وصفاً مختصرًا وعمَّا قليل سيتحفوننا بتأليف اوسع

يشتمل على كل مكتشفاتهم فيُحيون في اعيننا كلّ مآثر مدينة لسرائيل الاوّلية وقاعدة مملكتهم العظمى

على انّ ما نُشر من هذه الاكتشافات في المجلّات العلمية والكتابية وخصوصاً في اميركة وفرنسة هو كافٍ ليبيّن لقرّائنا الشرقيين انّ مساعي اللجنة الاميركية لم تذهب سدًى بل تثبت لمواطنينا ما يمكنهم ان يجدوهُ في انحاء عديدة من اوطانهم من العاديّات الثمينة لو أُتيح لهم ان ينقّبوا مجاهلها حيثما كانت مدنها القديمة. وها نحن نذكر هذه العاديّات مباشرةً باقرب دولة الينا ثمّ نرقى الاطوار الخمسة التي ميّزها متولّو حفريّات السامرة تحت قشرتها الظاهرة

وهذه القشرة العليا لا تتجاوز بعض الأقدام وهي تمتدّ من الوقت الحاضر الى اوائل الفتح العربيّ فقلّما وجد فيها ارباب الحفريّات الّا بعض آثار ابنية للصليبيين يعلو اكثرها فوق سطح الارض. ووجدوا ايضا تحصينات عزوها للعرب في القرون الوسطى وكان بينها اسرجة مختلفة عربية يبلغ عددها مئتي سراج والمرجّح انّ المسلمين عمدوا الى التحصينات التي سبقت عهدهم فرمّموها وزادوها منعةً

وليست الاكتشافات الواقية الى الطور البوزنطيّ اعظم شأنًا فانّ ملوك الروم منذ انتقلوا الى مدينة قسطنطين لم يروا في مدينة سبسطية ما يستدعي كبير همّتهم او يستلفت اليها انظارهم. وانّما بُنيت فقط في عهدهم الكنيسة الكاتدرائيّة على اسم القديس يوحنّا التي فوقها عمّر الصليبيون كنيستهم. ومما ظهر بالاكتشافات الجديدة ابنية شتّى ليس تحتها كبير امر ومنها ايضا نقود وآنية

واهمّ من ذلك ما وجد من الآثار الرومانيّة التي تسطّر بلسان حالها تاريخ تلك الدولة منذ فتحها پمپيوس في اواسط القرن الاوّل قبل المسيح وابتدأ بعده ترميمها واليها غابينيوس الى عهد قسطنطين. فهذه الحفريّات الاخيرة بيّنت بكل جلاها الابنية الفخمة التي باشرها هيرودس الكبير. وقبل كلّ يجب ذكر الهيكل الذي اقامهُ ملك اليهوديّة لاكرام اوغسطوس كما رواهُ يوسيفوس في تاريخ الحرب اليهوديّة (ك ١١ ع ٢) فقال انّ هيرودوس شيّد في وسط مدينة السامرة هيكلًا واسعاً خصّهُ لاكرام قيصر وجعل للهيكل حرمًا يبلغ ثلاث غلوات نصفية اي نحو ٩٠ مترًا. وطول هذا الهيكل كما يلوح من اقيته لا يقل عن ٤٠ مترًا وعرضهُ ٢٥م ووجدوا

رواقهُ ومذبحهُ الجميل الذي كان يُصعَد اليهِ بست عشرة مرقاة. بل توفَّقوا الى اكتشاف تمثال عظيم في غاية الاتقان يمثل رجلًا في هيئة ملك لابساً الدرع والبزَّة الحربيَّة الَّا انَّ رأسهُ مفقود والغالب انَّهُ شخص الملك اوغسطوس الذي كان في وسط الهيكل . امَّا اساسات هذا الهيكل فتدلّ على انَّ هناك سبق بناء اقدم عهداً يدلُّ طرزهُ على الشكل اليونانيّ بل فيها اقسام راقية الى ما وراء زمن اليونان

وكأنَّ الملوك الذين تبعوا عهد اوغسطوس قيصر لم يعاينوا شرف سلفهم بعين راضية فخصُّوا الهيكل بعبادة الاله الروماني جوبتير كما يُستدلُّ عليهِ بعدَّة دلائل

ومن الآثار الهيرودية المكتشفة هناك بقايا مرسح كبير ومرمح وناد متَّسع الارجاء للجمهور كلها مزيَّنة بالسواري والقواعد والاساطين والاكلَّة والنقوش. ومنها ايضاً مسكوكات على اسم هيرودس

وممَّا يرقى الى عهد الرومان ثلاثة انصاب فيها كتابات شتى على اسم بعض الحكَّام منها كتابة لأنيوس روفس تاريخها العشر الثاني من اوَّل قرن عهد الميلاد

ووجدوا ايضاً أسرجة رومانية مختلفة الهيئة وخزفيات متنوعة كأنية بيوت وغيرها ونقوداً رومانية عديدة

ومنها ايضاً كتابات تقادم للآلهة من جملتها " تقدمة للاله جوبتير العظيم لجنود من الفرقة العسكريَّة الپانونيَّة " سواء ربطت تلك الفرقة في مدينة سبسطية او مرَّت بها موقتاً . وتاريخ هذه الكتابة على ما يرجَّح في أيام سپتيميوس ساويرس في آخر القرن الثاني للمسيح وهذا الملك كان يحبّ مدينة سبسطية ويثني على امانتها بعد انتصارها لهُ فخوَّلها حقوق مستعمرة رومانية وخصَّ اهلها بامتيازات الرومان

وان تخطَّينا الى ما وراء عهد الرومان انتهينا بالطور اليوناني الممتدّ من السنة ٣٣٢ الى السنة ٦٤ ق.م حيث صارت السامرة في ايدي اسكندر ذي القرنين والملوك اليونان السلوقيين . واخصُّ الآثار المكتشفة من ذلك العهد الخزفيَّات والنقود فالخزفيَّات ذات اشكال واحجام متباينة وبعضها ساذج وبعضها ملوَّن او منقوش

امَّا النقود فتتمثل في الغالب ملوك سوريَّة السلوقيين او البطالسة المصريين من ذهب وفضَّة ونحاس

وكأني بالقرَّاء ينتظرون بفروغ الصبر ان ننيدهم عن اكتشافات الطور

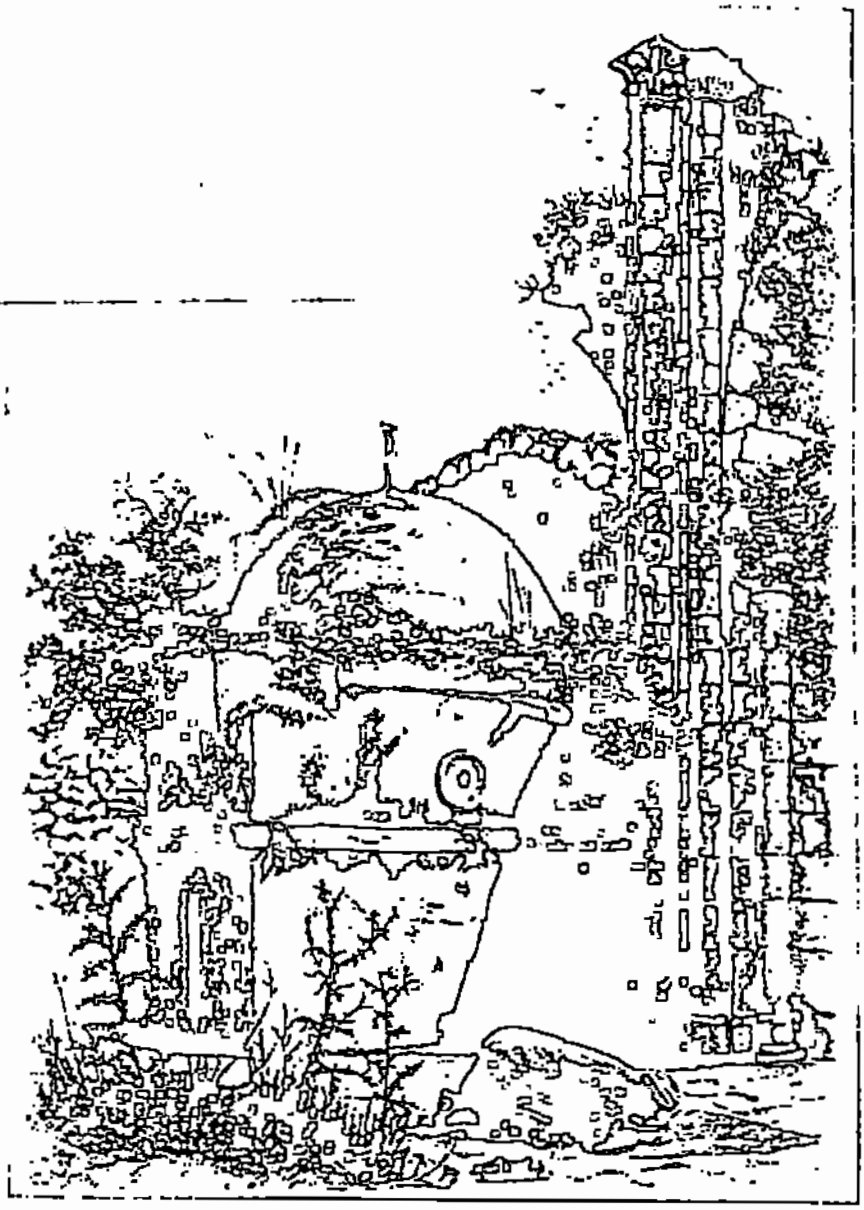

بقايا كنيسة مار يوحنا المعمدان في تلّ سبسطية (عن صورة قديمة)

الاسرائيلي فيطلبون بالحاح ما وُجد منها في مدينة سبسطيَّة فتقول انَّ بعض الجرائد كسألوف عادة المتسرّعين في نقل الاخبار روت اخباراً عجيبة دون ان تتحقَّق صحَّتها ولعلَّها خُدعت برواية احد اساتذة برلين الدكتور يهوذا (Dr. Yahuda) الذي نشر في جريدة تاغبلات (Tagblatt, 19 Janv. 1911) بانَّ لجنة الحفريَّات اكتشفت في السامرة بَرْدَ مقتنيات الملك آحاب ورسالة من ملك الاشوريين وصنائع فيها صكوك مبايعات وغير ذلك مما بنى الجمهور على اكتشافه الآمال الطيّبة

على انَّ كثيراً من هذه الاخبار لا سند لهُ والصحيح من كل ذلك انَّ ارباب الحفريَّات بلغوا في الحفر الى الابنية المشيَّدة في عهد ملوك اسرائيل وقد عرفوها بالمقابلة مع الابنية اليهوديَّة المكتشفة سابقاً في لاكيش واريحا وغيرهما . وبين هذه الابنية بقايا قصور ملكيَّة يرجّحون كونها لبعض ملوك اسرائيل كعمري (٩٣٠—٩١٩) وآحاب (٩١٩—٨٩٦) وياهو (٨٨٣—٨٥٥) ويربعام الثاني (٨٢٣—٧٧١) . ويؤيد هذا الزعم انهم وجدوا بين اطلالها قارورة من الرخام الابيض عليها كتابة مصريَّة ورد فيها اسم احد الفراعنة معاصري الملك آحاب وهو الفرعون اوسوركون الثاني (٨٧٤—٨٥٣)

وممَّا اصابوا هناك ايضاً من الآثار المعاصرة لملوك السامرة الاوَّلين قطع من الفخَّار المطبوخ (ostraca) رُقمت عليها كتابات عبرانيَّة بالحرف القديم الشبيه باقدم الكتابات المعروفة اليوم كمثل كتابة عين سلوان او كتابة الملك ميشا او كتابات اخرى نشرنا صورها في المشرق (١٢٨:٨) فهذه الخزفيَّات اتَّخذها الكنعانيُّون والاسرائيليُّون من بعدهم ليدوّنوا عليها معلومات مختلفة فهي كمذكّرات او اوراق دفع او بيان وُصل في ايامنا فكانوا اذا استحضروا الآجرّ واشتغلوهُ بالدولاب يرقمون عليهِ بالقلم العبراني القديم والحبر الجيّد هذه الافادات ثمَّ يطبخون الآجرّ . وقد كان العلَّامة كلرمون غانو اكتشف شيئاً منها في جزيرة اليفانتين (١ . امَّا البعثة الامريكانيَّة فوجدت من هذه القطع الصلصاليَّة في مدينة سبسطية نحو ٧٠ قطعة وهذه الخزفيَّات في مصر تحتوي على معلومات مختلفة منها رسائل او معاهدات او

١) اطلب مقالي الاب سبتيان رتزقال حيث وصف تلك الآثار الجليلة في المشرق (١٠ : ٦٧٣ و١١ : ١١٨,٥١)

صكوك اما خزفيات السامرة فكلها على شكل واحد تتضمن بيان دفع من مديون الى غريمه مع تاريخ السنة على هذه الصورة:

(عدد ١٣) في السنة العاشرة من ابيعزر لشمريو . جرة خمر معتقة لاسا . من التل

(عدد ٦) في السنة العاشرة خمر من كرم التلة مع جرة من الزيت الطيب . . . الخ

على انَّ هذه المعلومات مع عدمها الظاهر لا تخلو من الافادة فانَّها اولاً تثبت ما اعلمنا به الكتاب الكريم من حالة السامرة وغرس الكروم والزيتون على رباها وتفيدنا ثانياً معرفة لغة اهل السامرة في القرن التاسع قبل المسيح وهي العبرانيَّة كما تُرى في الاسفار الالهية

ولها افادة ثالثة فانَّها تبيّن انَّ بني اسرائيل بعد انفصالهم عن الدولة اليهوديَّة المالكة في اورشليم كانوا لا يزالون يحافظون على عبادة إلههم فانَّ مركَّبات اسمائهم من الاسم الكريم يتقدَّمهُ لقب آخر نحو « يدعيو ومرنيو » (اي الله عالم والهُ سيِّدنا) تدلُّ على انَّ بني اسرائيل لم ينسوا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب واسم الله عزَّ وجل مركَّب عندهم من يا . وواو (יה) وهي صورة اخرى من اسمهِ تعالى مختصرة من اسم يهو (יהוה) الذي كان شائعاً عند اليهود وكانوا يختصرونهُ بيه (יה) في المركَّبات الَّا انَّ بعض هذه الاسماء السامريَّة تدلّ على انَّ الوثنيَّة ايضاً كانت ابتدأت في الانتشار بين اسباط بني اسرائيل . فترى اسماء مركَّبة من اسم البعل « كابي بعل » واسم العجل « كعجليو » اي « العجل الله » او خواصّ الآلهة الوثنيَّة « كبعل رمز وبعل زكر » . فمن هذه الاسماء نفهم جيداً تعنيفات الانبياء ولاسيما ايليا واليشاع وعاموص وهوشع لبني اسرائيل بسبب عبادتهم لآلهة الفينيقيين التي كان البعل اخصّها واشهرها

فهذه الافادات كما ترى مع قلَّتها لا تخلو من تأييد الاسفار المنزلة والأمل معقود بانَّ الحفريَّات المستقبلة تأتينا بما هو اوسع علماً فتُقرن اكتشافات الاميركان في تلّ سبسطية الى اكتشافات الانكليز في تل جزر التي انفقوا عليها ٥,٥٠٠ ليرة واكتشافاتهم الحديثة في جبل صهيون وتظهر بالمقابلة احوال اليهوديَّة والسامرة في اوَّل اعصار بني يهوذا واسرائيل . وقد نال الانكليز فرماناً يرخص لهم حفر مدينة بيت شمس من اقدم مدن اليهوديَّة . فلا غروَ انَّ نشر كل هذه الدفائن يحيي تاريخ تلك الاعصار ويزيدنا معرفةً بما اوحى بهِ الله الى كتبة العهد القديم